شرح عقيدة الإمام الغزالي

سيدي أحمد زروق

شرح
عقيدة الإمام الغزالي

قدم له

فضيلة الأستاذ الدكتور

جودة محمد أبو الزين المهدي

نائب رئيس جامعة الأزهر

عضو مجمع البحوث الإسلامية

تحقيق دكتور

محمد عبد القادر نصار

الطبعة الأولى ٢٠٠٧

الكتاب: شرح عقيدة الإمام الغزالي

المؤلف: سيدي أحمد زروق

المحقق: محمد عبد القادر نصار

الناشر: دارة الكرز

عدد الصفحات: ١٧٦

سنة الطباعة: ٢٠٠٧م - ١٤٢٨هـ

بلد الطباعة: القاهرة، مصر

الطبعة: الأولى

رقم الإيداع: ٢١٧١٨/ ٢٠٠٧

الترقيم الدولي: 977-6156-65-7

دارة الكرز

للنشر والتوزيع

Copyright

All rights reserved ©

جميع الحقوق محفوظة.

لا يجوز نشر أي جزء من هذا الكتاب أو تخزينه أو تسجيله بأية وسيلة أو تصويره دون موافقة كتابية من الناشر.

Exclusive rights

No part of this publication reproduced, distributed in any form or by any means or stored in a data base or retrieval system, without the prior written permission of the publisher.

دارة الكرز

للنشر والتوزيع

١٧ ش منشية البكري - مصر الجديدة

Darat al-Karaz,
17 Manshiyyat Al-Bakri St, Cairo

تليفون: ٠٢/٢٤٥٥١٣٠٤

Email: darkaraz@yahoo.com

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى وهو على كل شيء قدير، وقطع حجة كل مشبه معاند بمحكم قوله تعالى:﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ (الشورى: ١١)، وأزال شبهة كل معطل معارض بمحكم قوله:﴿ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ (الإنسان: ٣٠) وهو بذلك حقيق جدير، ومنَّ على الوجود بتعلق صفاته بمخلوقاته مع كمال غناه فكل ما سواه إليه فقير، وجعل كمالات أنبيائه وعصمتهم دلائل أصحاب البصيرة على كماله الإلهي وتعاليه عن كل نقص وتغيير.

والصلاة والسلام على سيد الأنام، ورحمة الله للخاص والعام، الذي بلغ كل غاية وأدرك كل مرام، وتركنا على المحجة البيضاء ليلها كنهارها على التمام. ولله در الإمام البوصيري إن يقول:

لم يمتحنا بما تعيا العقول به ... حرصاً علينا فلم نرتب ولم نهم

فأهل الحق هو بهم قائم وعلى نصرتهم دائم، فهم أهل المعارف السنية والكرامات الاصطفائية والبُشْرَياتِ الدنيوية والأخروية، وكفى بها أمارة تتقاصر وتخسأ أمامها شبهة كل نفس أمارة، وصلاة وسلاماً مثل ذلك على آله ذوي الإمداد بالإشارة والعبارة وأصحابه الذين هدى الله بهم الضالين والحيارى.

وبعد

تقف أمة الإسلام في عصرنا هذا وسط متاهات من البدع المظلمة ونزعات زائغة ونزغات ذائعة من تجسيم تارة وتعطيل تارة وعلمانية تتداعي عل ثوابت الدين وفرق إسلامية ضلت عن الطريق القويم، هذا الطريق الذي شاده أئمة أعلام أعملوا عقولهم وأفئدتهم ليصوغوا عقائد الإسلام مهتدين بهدي سيد الورى وسلفنا الصالح

مبتعدين عن انحراف الغالين وتحريف المبطلين، وعلى رأس هؤلاء السادة الأشاعرة أتباع إمام أهل السنة أبي الحسن الأشعري المنتهي نسبه إلى سيدنا أبي موسى الأشعري الذي وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم من أرض اليمن فكان من قدر الله تعالى أن يكون حكم المصطفى صلى الله عليه وسلم بأن «الإيمان يمان والحكمة يمانية»، كما رواه الشيخان وغيرهما، وأن يكون حكمه صلى الله عليه وسلم في معانديهم أن الفتنة من قِبَلهم، فجمع أهل السنة بين بَرَد الإيمان وصلابة الحكمة، فكانت هذه العقيدة الناصعة التي صاغها حجة الإسلام وقدوة الأنام مولانا الإمام أبو حامد الغزالي وجعلها في أوائل كتبه العظيم ((إحياء علوم الدين)) كي لا ينقطع عنها نظر مسلم في دروب سلوكه وعباداته ومعاملاته.

وكانت هذه العقيدة جديرة بأن يتولاها بالشرح أساطين العلم والولاية تفصيلاً لمجملها وتفسيراً لمبهمها وإتماماً لما اختصر منها، فكان أن اضطلع بهذا العمل الجليل شيخ جمع بين العلم والعمل، وضرب بسهم وافر في التصنيف، ألا وهو العلامة العارف سيدي أحمد زروق الفاسي الشاذلي ﷺ، فهو الذي شرح رسالة أبي زيد القيرواني في فقه الإمام مالك بل واضطلع بكتابة شرح على صحيح البخاري كذلك، وناهيك بتصوفه الذي نال به مكان بين العارفين المحققين، فصار علماً يشار إليه بالبنان في طريق الشاذلية الأكابر.

فعمل كهذا - فضلاً عما فيه من بيان عقيدة أهل السنة والجماعة الصافية من كل زيع وتحريف- وبما اشتمل عليه من ملح من معارف الإحسان وفوائد علمية ولغوية، لتَحُفُّهُ البركة حيث وجُد. وقد أبلى فيه محققه الدكتور محمد نصار بلاء حسناً بإخراجه لينتفع به الناس، وهو عمل يغبط عليه. وقد رأيت من اجتهاده في العمل فيه ما سرني وأثار اهتمامي.

ولا يخلو عمل من هنات فكم رأينا العلماء يستدركون على أقرانهم من العلماء دون أن يقلل ذلك من شأن هذا أو ذاك، وها هي تلك المخطوطات تمتلئ بالتصحيفات والأخطاء النحوية والإملائية، فلا يقال لمن رامه بانتقاص إلا:

وإن تجدْ عيباً فَسُدَّ الخللا جَلَّ من لا عيبَ فيه وعلا

فجدير بشباب الأمة وشيوخها أن يوجهوا همتهم إلى نشر تراث أمتهم والدفاع عن عقيدتها السمحة الصافية وإن هذه لغاية يرخص في سبيلها كل غال ويهون في جانبها كل صعب.

وجدير بأهل التصوف أن يكونوا هم الحاملين لهذا العلم الذي ينفي غلو الغالين وتحريف المبطلين ولا يتركوه نهباً مستباحاً لكل أفاك وبطال وأن يعتنوا بهذه العقيدة وهذا الشرح اللذين يحملان اسمي اثنين من أكابر أئمة التصوف الذي نشرف جميعاً بالانتساب إليه.

الأستاذ الدكتور
جودة محمد أبو اليزيد المهدي
نائب رئيس جامعة الأزهر
عضو مجمع البحوث الإسلامية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين، المنزهِ عن كل نقص وشين، المقدس عن المتى والأين، المتعالي عن كل ظلم ومين، سبحانه له الأسماء الحسنى والصفات العلى والفِعال المثلى والمنن العظمى، سبحانه لا نحصي ثناء عليه، هو تعالى كما أثنى على نفسه، عز جاره وجل ثناؤه ولا يهزم جنده ولا إله غيره.

وصلاة وسلاماً عبودية ودعاءً على خير من أثنى على ربه الجليل الجميل، المختص من معرفة ربه بما لا يدرك شأوه نبيٌّ مرسل ولا ملَكٌ نبيل، المشَّرفِ بقوله تعالى ﴿ وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴾ (النمل: ٦) والمخصوص بحَمل أمانة ﴿ إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً ﴾ (المزمل: ٥)، ترجمان الوصف القديم ولسان العرفان المبين، سيدنا ومولانا محمد، أحمد العالمين، وعلى آله وصحبه الذين استودعهم أسرار الحق اليقين، صلاة وسلاماً دائمين متلازمين ما قامت صفات الحق تعالى بذاته القديم.

أما بعد:

للتصدي للعمل في كتب التوحيد التي دبجتها أقلام العارفين مزية خاصة، إذ تحمل تقرير عقائد أهل السنة مؤيدة بحال هؤلاء الأكابر في ولايتهم وعرفانهم. وقد اشتهرت عن الإمام أبي حامد الغزالي عقائد سنية ضمنها غير كتاب كالاقتصاد في الاعتقاد وإلجام العوام عن علم الكلام وهذه العقيدة التي تضمنها كتابه الفذ إحياء علوم الدين.

نسبة الكتاب إلى الإمام الغزالي

هذه النسبة ثابتة إذ أورد الإمام الغزالي هذه العقيدة في الإحياء ثم قام بشرحها في الرسالة القدسية وضمن كلا المتن والشرح كتابه الإحياء. فالكتاب بهذا ثابت النسبة للإمام الغزالي دون حاجة للإشارة إلى إثبات المتأخرين من المستشرقين أو الدارسين لها.

واسم الكتاب، أي ((قواعد العقائد)) يطلق ويقصد به المتن الذي وضع عليه الشيخ زروق شرحه، كما يطلق ويراد به قسم العقائد الوارد في ربع العبادات بعد كتاب العلم في ((إحياء علوم الدين))، حيث قال:

كتاب قواعد العقائد وفيه أربعة فصول:

الفصل الأول: في ترجمة عقيدة أهل السنة

الفصل الثاني: في وجه التدريج إلى الإرشاد وترتيب درجات الاعتقاد

الفصل الثالث: في لوامع الأدلة للعقيدة التي ترجمناه بالقدس المراد به ((الرسالة القدسية في قواعد العقائد))

الفصل الرابع: في الإيمان الإسلام.

فيظهر من هذا ما يلي:

أولاً: أن للمتن اسمين، الشائع هو ((قواعد العقائد)) والثاني ما عنونه به الإمام الغزالي في الإحياء بقوله ((في ترجمة عقيدة أهل السنة)) والثالث ((الرسالة القدسية في قواعد العقائد)) وهي شرح للمتن

ثانياً: أن الرسالة القدسية هي في الحقيقة فصل من فصول كتاب قواعد العقائد الذي يقصد به مجموع الفصول الأربعة، ويقصد به كذلك ترجمة عقيدة أهل السنة.

وقد شرح سيدي زروق العقيدة ثم ألحق بشرحه تعليقاً على الفصل الثاني من كتاب قواعد العقائد المتضمن بالإحياء وهو في وجه التدريج إلى الإرشاد وترتيب درجات الاعتقاد.

والخلاصة أن المقصود بقواعد العقائد هنا هو المتن المسمى في الإحياء ترجمة عقيدة أهل السنة، وأن ما استحسن سيدي زروق إلحاقه إنما هو تعليق على الفصل الثاني من قواعد العقائد المذكور.[1]

---

(١) لزيادة التفصيل انظر ما كتبه السيد محمد عقيل بن علي المهدلي في مقدمته لكتاب ((قواعد العقائد في التوحيد للإمام حجة الإسلام الغزالي: دراسة نصية)) دار الحديث، الطبعة الثانية ١٩٩٦.

شروح الكتاب

شرح قواعد العقائد العلامة ركن الدين الاستراباذي (٧١٥هـ) والعلامة محمد أمين بن صدر الدين الشرواني (١٠٣٦هـ)، أوردهما عمر رياض كحالة في ((معجم المؤلفين))، فضلاً عن شرح الإمام محمد مرتضى الزبيدي (١٢٠٥هـ) له في شرحه على الإحياء المسمى ((اتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين)).

نسبة الشرح لسيدي أحمد زروق:

ذكرت الكتب التي ترجمت للشيخ زروق هذا الكتاب بين مؤلفاته وهي تذكره غالباً بصفته أي شرح قواعد العقائد أو شرح الرسالة القدسية للغزالي. وممن أثبت نسبته لمؤلفه صاحب شجرة النور الزكية حيث أثبته باسم ((شرح العقيدة القدسية))، والتنبكتي في نيل الابتهاج، والدكتور علي فهمي خشيم في ((أحمد زروق والزروقية)).

كشف علمي فريد

قد اشتهر عن سيدي زروق شروحه على الحكم العطائية حتى ذكر أنها نافت على الثلاثين. ويبدو أن هذا المسلك التأليفي لم يقتصر على حكم ابن عطاء الله، وأن عقيدة حجة الإسلام الإمام الغزالي قد نالت من الشيخ زروق اهتماماً خاصاً.

وقد وقع بعض الباحثين في وهم اعتقاد أن شرح الشيخ على عقيدة الحجة الغزالي له اسم آخر وهو ((**اغتنام الفوائد بشرح قواعد العقائد**)). وقد أثبت هذا الاسم الدكتور علي فهمي خشيم في كتابه عن سيدي زروق. وقد وجدنا الكتاب محفوظاً بالأزهرية تحت هذا العنوان وموقوفاً على طلبة العلم بالأزهر من قبل العلامة شيخ الإسلام أحمد بن عبد المنعم الدمنهوري رحمه الله (١١٩٢هـ)، وهو بالمكتبة الأزهرية محفوظ بهذا العنوان. ولما رأيناه أخذتنا الدهشة لوجود اختلاف بين الكتابين، فعكفنا عليه نفحصه فتبين لنا أنه تعليق آخر مختصر لسيدي أحمد زروق على عقيدة الإمام الغزالي، وهو شرح قولات، على طريقة قال ... قلت.

وعلى عكس كتابنا هذا فالشارح لا يتتبع لفظ الماتن بل يستخلص منه ما يريد، ويمتاز ذلك الشرح الآخر بحسن تفريعه واختصاره بحيث إنه يكاد يكون متناً آخر من حيث تأسيسه لعقائد أهل السنة والجماعة ولكن بصورة تزيد على ما في قواعد العقائد بطبيعة الحال. كما أنه يخلو غالباً من الدليل ومن التوسع في إيراد الأقوال والملح الكلامية والصوفية عن السلف الصالح مما نجده في كتابنا هذا، وإن كان يكثر من إيراد أقوال الفرق الكلامية ذاكراً إياها في إيجاز.

فالشيخ زروق له بهذا شرحان متمايزان على عقيدة سيدنا الإمام الغزالي رضي الله عنه. وتاريخ الشرح الثاني مدون بآخر المخطوط وهو أوائل شهر رجب الفرد سنة ٨٩٧ هجرية، فهو يلي التاريخ الذي ذكره الدكتور خشيم لكتابنا هذا بعشر سنوات وهو أمر طبيعي إذا لوحظ اختصاره وتقعيده لقواعد أهل السنة في إيجاز.

ولما كان المخطوط المذكور قد ختمه مصنفه بقوله:«كمل كتاب اغتنام الفوائد بشرح قواعد العقائد وكتبه مؤلفه أحمد بن أحمد بن محمد بن عيسى، عرف بزروق لطف الله به» فقد تعين أن هذا العنوان ليس عنوان شرحه الكبير الذي هو موضوع هذا التحقيق، وترجح أنه لا يعرف إلا بوصفه وأن وصفه قد يكون هو عنوانه الأصيل. وعليه فقد استقررنا على تسمية كتابنا هذا به وهو ((شرح عقيدة الإمام الغزالي)).

وهذا التحقيق لم نسبق إليه فيما نعلم والفضل في ذلك علينا لله تعالى ﴿ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ (الحديد: ٢١).

مضمون الكتاب

تقدم أن شرح سيدي زروق لا يتناول المتن المسمى قواعد العقائد أو ترجمة عقيدة أهل السنة كما هو في الإحياء فحسب بل يتناول الفصل التالي لهذا في الإحياء كذلك وهو المسمى «في وجه التدريج إلى الإرشاد وترتيب درجات الاعتقاد».

تاريخ تأليف الكتاب

ذكر الدكتور علي فهمي خشيم تاريخ تأليف الشيخ زروق لهذه الشرح بسنة ٨٨٧ هـ، أي قبل وفاته باثني عشر عاماً، وهو تاريخ متأخر نسبياً ، إذ من بين أربعة وعشرين مؤلفاً استطاع الباحث تحديد تواريخ تصنفيها، يأتي كتابنا هذا سابع عشرها. وبحسب ما ذكره الباحث يكون الشيخ ألف هذا الكتاب في مصراتة حيث كان رحل إليها مستقراً بها سنة ٨٨٦. وعليه فتأليف الكتاب يأتي بعد أن أتم الشيخ زروق تربيته الصوفية على يد العارف الشيخ أحمد بن عقبة الحضرمي رحمه الله.

أما التعليق الآخر الذي ذكرناه أعلاه والمسمى ((اغتنام الفوائد بشرح قواعد العقائد)) فقد وجدنا تاريخ تأليفه مثبتاً في آخره وهو سنة ٨٩٧ هجرية أي قبل انتقال مؤلفه بسنتين. ومن هذا يتضح مدى عناية سيدي أحمد زروق بهذه العقيدة الشريفة إذا ظل يدرسها ويعمل قلمه في شرحها إلى ما قبيل انتقاله بمدة وجيزة. بل ذكر الشيخ هذه العقيدة من ضمن ما ينبغي للصوفي الاعتناء به وتدارسه خاصة في كتابه ((عدة المريد الصادق)). وإذا أخذنا في الاعتبار أن العلامة سيدي أحمد زروق جعل من التأليف سبيلاً لتنشئة مريديه علمياً وصوفياً وأنه كان يسعى في تشكيلهم تشكيلاً علمياً روحياً جامعاً أدركنا أنه اختار هذا المتن ثم هذا الشرخ ليكونا سبيله لتعليم مريديه عقيدتهم الصحيحة الخالية من الانحراف المبرأة عن وسوسات النفوس الأمارة والعقول المريضة.

أصول التحقيق

اعتمدنا ثلاثة مخطوطات كلها موجودة بدار الكتب المصرية، وهي كالتالي:

- المخطوط الأول ورمزنا له بالرمز (أ) في التحقيق، واعتمدناه أصلاً تدور عليه بقية النسخ إذا هو أجودها وأوضحها وأقلها تصحيفاً. وهو محفوظ برقم ٢٥ مجاميع

حليم بالدار، ووقطعه ٢١ سم × ١٥،٥ سم، وعدد أوراقه ٤٣ ورقة، وتاريخ نسخه سنة ١٢٣٢ هجرية، مكتوب بخط نسخي جميل، والناسخ عبده محمد خضر بن حسن رحمه الله. وعنوان الكتاب فيه (شرح عقيدة حجة الإسلام الغزالي) ، ويليه بالمجموعة كتاب (التعرف في الأصلين والتصوف لابن حجر). وعلى غلافه بعض الفوائد.

- الثاني ورمزنا له بحرف (ب) وكان اعتمدناه أصلاً ثم عدلنا عليه إلى المخطوط السابق لما تقدم من الأسباب ولوجود تصحيفات به. وهو محفوظ بالدار برقم ٨٧٦ علم الكلام وتاريخ نسخه ١٠٥٩ فهو أقدم من سابقه وعدد أوراقه ٣٦ وقطعه ٢٢سم×١٦، بقلم نسخي والمداد فيه باهت بعض الشيء ، وناسخه عمر بن سعيد بن عمر بِلَّسَدْ. والعنوان فيه (شرح عقيدة الإمام العلامة حجة الإسلام محمد بن محمد بن محمد الغزالي الطوسي. وما في بطاقة المخطوط من أنه نسخ سنة ١٠٥٤ مخالف لما خطه الناسخ بيده في آخر المخطوط.

- الثالث، ويكاد يخلو من التصحيفات فضلاً عن أنه أقرب لزمن المؤلف إذ إنه نُسِخَ سنة ٩٩١ أي بعد أقل من قرن وفاة سيدي زروق، إلا أن به نقصاً من الورقة ٢٠ إلى ما قبل نهايته. وعدد أوراقه ٢٢ فاعتمدنا عليه للترجيح حيث احتجنا ذلك ورمزنا له بالحرف (ج) وبياناته ناقصة نظراً لنقصانه بنحو النصف. وعلى غلافه جاء العنوان كما يلي:((هذا شرح العلامة الشهير بزروق على عقيدة إمام أهل السنة محمد بن محمد الغزالي الطوسي)).

منهج التحقيق:

في وقتنا هذا حيث الانقطاع بين الناس ولغة تراثهم ومفاهيمه، وما جناه التعليم المدني على الناس من تجهليهم بدينهم وتركهم فرصة لعقائد زائغة لا سيما عقائد

الوهابية والروافض، وشيوع التعليم الأجنبي في بلادنا بين أواسط الناس الذين هم – كما يذهب علماء الاجتماع – حاملو الثقافة والقيم وآلة دورانهما بحث صارت مثل هذه الكتب كالطلاسم لا عند النشء فحسب بل عند الكهول والشيوخ كذلك، فضلاً عما أصاب لغتنا من وهن على ألسنة أهلها وفي أفئدتهم من جراء هذا التعليم ، لابد للمحقق أن يدرك أنه صاحب رسالة تربوية تعليمية لا تقل عن رسالته العلمية ، لذا يأتي تحقيق كتابنا هذا متميزاً بما يلي:

- ضبط العديد من مواضعه بالشكل إما إزالة للبس، وإما مساعدة للقارئ على نطق الألفاظ نطقاً سليماً، وتعويد لسانه على النطق المنضبط بقواعد النحوية تربية للسلوك اللغوي السليم.

- تضمين الحواشي شروحاً لبعض عبارة الكتاب ومفاهيمه بلفظ ميسر يراعي ما يدور في ذهن القارئ العادي من أسئلة وارتباك أمام ما في علم التوحيد من تجريد وتعقيد.

- جهد متواضع لزيادة فائدة الكتاب بتفصيل بعض ما أجمل وزيادة بيان لما فصل.

- نثبت نصاً سليماً مستساغاً للقارئ على اختلاف النسخ ومواضع التباين فيها، ونؤخر الاختلاف للحواشي– بناء على ما ترجح لدينا – لمن أراد النظر فيها.

هذا فضلاً عما يلزم محقق التراث الإسلامي من عمل معتاد كما يلي:

- خرجنا ما في الكتاب من آي الذكر الحكيم والحديث الشريف وغير ذلك من النقول والأخبار، واجتهدنا في عزو بعض الأقوال لمصادرها والتعليق عليها بما يزيل غموضها أو إيهامها.

- ترجمنا لأعلامه وكذا بعض الكتب المذكورة في النص قد الطاقة.

- وضعنا بعض العناوين التوضيحية محاطة بمعقوفين.

بين شرح العلامة سيدي أحمد زروق وشرح الغزالي على عقيدته

قد تقدم أن الإمام الغزالي شرح هذه العقيدة بالرسالة القدسية المتضمنة بالإحياء، فما الذي يدفع مؤلفاً آخر لكتابة شرح آخر وصاحب المتن أدرى به، ولعل من يأتي بعده لا يدرك مقاصده كما أدركها الماتن؟

وقد نظرنا في الشرحين فوجدنا شرح الإمام الغزالي مختصراً ويرمي إلى تقرير أدلة عقيدته إجمالاً وبالقدر الذي يفيد المسلم في سلوك طريق الآخرة دون تعريج على قضايا هي من صميم البحث الكلامي بل هي من صميم العقيدة أحياناً، مثل مسألة رؤية الله تعالى في الآخرة التي لم يتعرض لها الإمام الغزالي في الشرح. كما أن الإمام الغزالي لما شرح عقيدته في الرسالة القدسية لم يتتبع لفظها وإنما جاء شرحه تعليقاً عاماً لا يتتبع هذه الألفاظ ومراميها وما يتفرع عليها.

أما شرح العلامة زروق فجاء مفصلاً – إذا قيس بشرح الإمام الغزالي- تتبع فيه الشارح لفظ المتن وأبان عنه وعما يتعلق به لفظاً لفظاً، وأفاد من تطور علم الكلام بعد الغزالي على يد الإمام الرازي والسعد التفتازاني وغيرهما من كبار المتكلمين وزاده من فوائده ما زاده نفعاً، فمن ذلك مثلاً نزعته لتعريف ألفاظ المتن والتفرقة بين الألفاظ المترادفة وأجناسها: فقال مثلاً معلقاً على كل لفظ من قول الماتن: ((فله الفضل والإحسان والنعمة والامتنان)):

فله الفضل في إيجادنا واختراعنا من العدم وإمدادنا بالنعم وتخصيصنا بالكرم، إذ لا نستحق شيئاً من ذلك عليه.

والإحسان، أي الإنعام الذي لا سببَ له ولا علة،

والنعمة بجميع أنواعها إيجاداً وإمداداً ودفعاً ونفعاً،

والامتنان وهو البداية بالنوال قبل السؤال.

ومن ذلك قوله:

تنبيه: مما يجري النظر به في هذا الباب خمسة ألفاظ: المثلين والغيرين والخلافين والضدين والنقيضين:

فالنقيضان لا يجتمعان ولا يرتفعان كالحركة والسكون، لأن من عقل جسماً لا متحركاً ولا ساكناً كان لمتن الجهل راكباً، وعن نهج الحق ناكباً.

والضدان لا يجتمعان وقد يرتفعان كالسواد والبياض[1].

والخلافان كُلُّ موجودَيْن غيرُ متفقَيْنِ في جميع صفات النفس.

والغيران نحو منهما.

والمثلان ضد لهما.

فانظر ذلك، فإنه مهم على من أراد الكلام، وبالله التوفيق.

كما حرص العلامة زروق على تحلية شرحه بكلام كثير من الأئمة والعارفين ومزجه بملح التصوف الرائقة ليخرج الشرح من قواعد العقول إلى فضاء الأرواح فيكون الاعتقاد سلوكاً وعرفاناً لا مجرد تصديق وإيقان. وعليه فقد جاء هذا الشرح سياحة روحية كما هو مباحثة عقلية، واعتمد في هذا اعتماداً كبيراً على ما أورده الإمام القشيري في الرسالة عند كلامه على اعتقاد أئمة الصوفية.

ولعل اهتمام السيد أحمد زروق بهذا العقيدة يعود إلى ذلك الاحترام والتبجيل الذي أبداه إمام طريقته سيدي أبو الحسن الشاذلي ومن بعده خليفته الأجل سيدي أبو العباس المرسي ﷺ للإمام الغزالي، فقد اشتهر عن الإمام الشاذلي كما نقله عنه غير واحد قوله: من كانت به إلى الله حاجة فليتوسل إليه بالإمام الغزالي، واشتهر عن سيدي أبي العباس المرسي قوله: إنا لنشهد له بالصديقية العظمى، إنه القطب الغوث

(١) وكثيرا ما يراد بالضد مطلق المنافي.

الفرد الجامع، فلا جرم كان اهتمام سيدي زروق بهذه الشرح امتداداً لهذا التقدير الشاذلي لحجة الإسلام الغزالي إذا الشيخ زروق علم من أعلام الشاذلية ينتهي إليه كثير من أسانيدها.

فصول في ترجمة الشيخ زروق

ليس من فائدة كبيرة في تكرار جهود السابقين في ترجمة مثل العلامة زروق، خاصة وقد ألف الدكتور علي فهمي خشيم كتاباً جامعاً عنه، كما كتب عنه باستفاضة الدكتور إدريس عزوزي في تحقيقه لكتاب ((عدة المريد الصادق)).

وقد ترجم رضي الله لنفسه في كناشه فقال:

ولدت يوم الخميس عند طلوع الشمس ٢٨ من شهر محرم ٨٤٦ هجري وتوفيت أمي يوم السبت بعده وأبي يوم الثلاثاء بعده، كلاهما في سابعي، فبقيت بعون الله بين جدتي الفقيهة أم البنين فكفلتني نفعنا الله بها والفقيرة إلى رحمة الله، فكفلتني أم البنين حتى بلغت العشر فقرأت القرآن، فأدخلتني الصنعة، فتعلمت صناعة الخرز.

ثم نقلني الله تعالى بعد بلوغي السادس عشر إلى القراءة فقرات الرسالة على الشيخ علي السطي والشيخ عبد الله الفخار قراءة بحث وتحقيق، ثم قرأت القرآن على جماعة منهم القوري والزرهوني وكان رجلا صالحا، والمجاصي والأستاذ الصغير كل ذلك بقراءة نافع، ثم اشتغلت بالتصوف والتوحيد، فأخذت الرسالة القدسية وعقائد الطوسي وعقائد السنوسي على الشيخ عبد الرحمن المجدولي وهو من تلاميذ الأبي، وأخذت بعض التنوير على أبي عبد الله القوري وسمعت عليه البخاري كثيرا وتفقهت عليه في كل من أحكام عبد الحق الصغرى وجامع الترمذي "وأخذت ذلك تفقها" وصحبت من السالكين جماعة لا تحصى بين فقيه وفقير. ولفظ "زروق" إنما جاءني من جهة الجد، كان أزرق العينين واكتسبه من أمه. أهـ

أما عن تسميته بالبرنسي فلأن أصله من قبيلة البرانس البربرية التي تعيش في منطقة جبل البرانس ما بين فاس وتازة، وكان مولده في قرية تليوان بتلك المنطقة، وكان والده من أهل الولاية والصلاح، حيث شيد على مدفنه في القرية بناية أنيقة تشتمل على مسجد جامع ومكان لسكن الإمام وتعرف بزاوية سيد أحمد زروق ولها أوقاف، ويحظى ضريح والده بتعظيم واحترام أهل القبيلة.

انتظم وهو ابن ستة عشر في سلك طلبة جامع القرويين والمدرسة العنانيه معاً، وصار يتردد عليهما لدراسة أمهات كتب المذهب المالكي والحديث والأصول وقواعد العربية، كما درس بعضاً من كتب التصوف، وتتلمذ على أشهر علماء فاس وفقهائها آنذاك، وعددهم يزيد على ثلاثين فقيهاً ومحدثاً وفقيراً، كما درس أمهات الكتب، ومنها كتاب التنوير لابن عطاء الله السكندري، وبدأ صلته بمشايخ الطريقة الشاذلية وهو في العشرينات من عمره، فلزم مريدا للشيخ محمد الزيتوني بزاوية الشاذلية في فاس، وكتب تعليقه الأول على حكم ابن عطاء الله وهو في الرابعة والعشرين من عمره (عام ٨٧٠ هـ) وفي هذه السنة انطلق أحمد في سياحة أربعين يوماً كاملة بأمر شيخه، زار خلالها ضريح الشيخ شعيب أبو مدين بن الحسين (المتوفى عام ٥٩٦ هـ / ١١٩٨ م) في تلمسان، وعاد إلى فاس بعد مخاطر عديدة قابلته في رحلته، وعناءً شديداً تكبده، ومكث في فاس بعدها ثلاث سنين مشتغلاً بالدرس والتأليف .

واتصل بشيوخ من البلاد المغاربية، كالشيخ الإمام عبد الرحمن الثعالبي والشيخ إبراهيم التازي والمشدالي والشيخ حلواو والسراج الصغير وأحمد بن سعيد بن الحباك وابن الرصّاع والحافظ التنسي والإمام السنوسي صاحب العقيدة وابن زكريا وأبو مهدي عيسى المواسي .

وفي عام ٨٧٣هـ / ١٤٦٨م. عزم سيدي أحمد زروق على أداء فريضة الحج، واستشار شيخه أحمد بن الحسن الغمارى فأشار عليه بأن يفعل وأذن له، فتحرك إلى القاهرة ومكث فيها فترة قصيرة، ثم غادرها إلى مكة والمدينة، وبعد أداء مناسك الحج

لبث في المدينة مجاوراً مدة عام، حيث التقى ببعض مشايخ التصوف، ثم عاد من الحج إلى القاهرة واستقر فيها عام ٨٧٦ هـ/ ١٤٧١ م، اتصل فيه بشيوخ التصوف وطرقه، وحضر الدروس في الأزهر، وكان من أهم من اتصل بهم من العلماء والمشايخ: محمد السخاوي، وأحمد بن حجر، وأبو اسحق التنوخي، ونور الدين السنهوري، والولي شهاب الدين الأفشيطي والقطب أحمد بن عقبة الحضرمي والذي أصبح مريدا في زاويته، وقرأ خلال تلك السنة من أمهات الكتاب في الفقه والحديث والتصوف، وبذلك اجتمع له في المغرب والمشرق شيوخ من الفقهاء والفقراء، وهو أمر أثر في مستقبل حياته وأفكاره، حيث رأى أن الفقه والتصوف موضوعان مترابطان، ومن هنا أطلق عليه لقب " الجامع بين الشريعة والحقيقة".

وقد كان للشيخ أحمد بن عقبة الحضرمي القادري اليمني والذي استوطن مصر تأثير كبير على الشيخ أحمد زروق، كما شهد من كراماته، وصحبه يستهدي بنصحه ثمانية شهور سلكه خلالها في طريقته القادرية وصار احد مريديه المخلصين، ثم قفل عائداً إلى بلده عام ٨٧٧ هـ/ ١٤٧٣م. وظل يتبادل الرسائل مع شيخه في طريق عودته إلى طرابلس الغرب فتونس وبجاية (الجزائر) وفاس التي وصلها عام ٨٧٩ هـ وخرج فقهاؤها لاستقباله على أطرافها، وعاش رضي الله عنه في فاس أربع سنوات كان خلالها دائم الهجوم على الفقهاء الجاهلين، والقراء المداهنين، والصوفية المنافقين في كثير من مؤلفاته ورسائله، وقد قوبل بصعوبة وسوء فهم، إلا انه رغم كل الصعوبات استطاع إن يجمع بعض الأتباع الذي شكلوا فيما بعد نواة الطريقة الزروقية في المغرب، وقرر أن يهجر موطنه الأول الذي تنكر له إلى مستقر جديد، فقصد بجاية عام ٨٨٤ هـ / ١٤٧٩م حيث كان له رفاق وأتباع، ثم غادرها في أواخر سنة ٨٨٤ هـ إلى القاهرة للاجتماع بشيخه الحضرمي، وقضى في القاهرة بقية العام والعام الذي يليه، وجدد علاقته مع العلماء، وصار شيخاً علماً له مكانته ويتحلق من حوله طلبة العلم والأتباع، في *السنة التالية* (٨٨٦ هـ/ ١٤٨١ م) قرر الشيخ السفر إلى مصراتة بليبيا .